

## الاستعمار التلفزيوني



السبت 10 نوفمبر 2012 11:03 ص

كتب: بقلم: عمر عبد الكريم- الفارس المقدسي

عندما كنت صغيرًا كنت أرى الممثلين في التلفزيون يدخلون السجائر فكنت أتساءل كيف يمثلون التدخين؟! أو ما هي الخدع السينمائية التي يستخدمونها لكي نرى أنهم يدخلون وهم لا يدخلون؟! التدخين كان بالنسبة لي من الأشياء التي أعتبر أن من المستحيل أن يقدم على أحد وبعد سنين أصبحت أتساءل عن الأشياء الأخرى التي تحدث على الشاشات وكنت أصعق عند رؤيتها.

وكنت أتساءل أيضًا عن هذه الأمور أهي حقيقة أم تمثيل؟! فهم بالتأكيد يمثلون، إنهم مبدعون في تلك الخدع السينمائية! أتعرفون لماذا كنت أتعجب من تلك الأمور وأفنع نفسي، بل وأخدع نفسي بتلك الأفكار الواهية؛ لأن عقلي كان رافضًا بكل قوة فكرة أن أي إنسان عاقل يمكنه فعل مثل هذه الأشياء.

ولأن المجتمع من حولي لم تكن منتشرة به تلك الأشياء يمثل هذه الكثافة، ولكن سريعًا ما انتقلت تلك الأمور إلى الشارع، فأصبح من النادر أن تسير في شارع لا تجد به عدد كبير من المدخنين وعدد أكبر من المعاكسات و..... إلخ.

فالأمر في البداية كان غريبًا علينا أن نشاهده في التلفزيون، ثم أصبح طبيعيًا، ثم وجد في واقعنا المجتمعي ولكن بشكل بسيط يستغربه الناس، ثم أصبح طبيعيًا، فالمجتمعات تخطو خطوات مسرعة نحو التطور والحضارة، ونحن نحسب أن هذا هو التطور والحضارة، وإن تكلم أحد عن تلك الأمور تسمع الصراخ من أعلى الأبواق: إنها حرية الإبداع، حرية الفن، حرية المرأة، (نعم، أن تخرج علينا المرأة بثياب لا تذكر هذه هي الحرية). ومن الغريب أيضًا أن تسمع أولئك الأشخاص الذين يتكلمون عن الحرية- بهذا الشكل- هم من يطالبوننا بإيجاد حلول للمشاكل مثل "التحرش" وخلافه وإيجاد حياة آمنة للمرأة، ألا يعلمون أن ما يدعون إليه هو جزء كبير من المشكلة، أفلا يعقلون؟

وعلى الجهة الأخرى من التلفزيون وعلى ما يسمى بالقنوات الدينية لا نلبث أن نسمع لأحد المشايخ فترة وجيزة حتى يخرجونا من الجو الإيماني إلى إعلانات، النصف منها يدعو إلى "بيع بطاطين وأطباق" وخلافه، والنصف الآخر: إعلانات لشيوع تدعو إلى رحلات عمرة أو حج لإحدى الشركات السياحية بصحتهم، فهل يعقل هذا؟! أهذه هي القنوات الدينية التي نحتاج

إليها ويحتاج إليها مجتمعنا؟! والبعض يرد ويقول لا بد من تلك الإعلانات حتى تُعوَضَ أجور القناة، فأرد: ولماذا يتقاضى الشيوخ مثل هذه الأموال، أصبحت "المشيخة" مهنة ربحية؟! أو ليس من المفروض أن صاحب القناة وأولئك الشيوخ يعملون لوجه الله وليس لغرض ربحي؟

وإذا رزقك الله بقناة دينية لا يوجد بها إعلانات- وهذا ليس بكثير- نجد (الشيخ) ينتقل بك من الكلام الإيماني إلى السياسة! وهو لا يعرف أننا لم نحضر إلى هنا لكي نسمع كلامًا سياسيًا، فالقنوات السياسية موجودة وبكثرة ولو نريدها لذهبنا إليها، إنما جئنا إلى هنا هربًا من السياسة التي تحيط بنا في كل وقت وفي كل مكان، جئنا إلى هنا لأننا نبحث عن بديل لتلك القنوات، بديل يقربنا من الله.

نحن للأسف لسنا مستعمرين بقوة السلاح لكننا كما قال بعض الحكماء "لدينا قابلية للاستعمار" فلماذا يحتاجون لاستعمارنا ودفع مزيد من الأموال والأرواح في حين أننا ننفذ لهم ما يريدون: نفسد شبابنا، ونضيع أوقاتنا، ونترك ديننا، ونعتمد عليهم في رزقنا، ونمدهم بما يحتاجونه منا.

أندرون لو أنهم أجبرونا على تلك الأمور لكان أهون علينا، لكننا وجدنا على الأقل ما نقوله لله عندما نقابله، نقول له حينها أننا كنا مستضعفين، لكن يا ترى إذا قابلنا الله الآن ماذا سنقول له؟! لا بد أن نقول له أننا بالفعل كنا مستعمرين، "مستعمرين تليفزيونيًا وفكريًا"، فوالله لو قمنا باستغلال الأوقات التي نصيغها أمام التليفزيون وتركنا تلك الأفكار التي تبث لنا من خلاله، أو قمنا باستغلاله استغلالاً صحيحًا وليس مجرد استغلالاً "ربحيًا" لكننا أكثر من ذلك نهضة وتقدمًا وحصارة، فلا بد لنا أن نتحرر من "الاستعمار.. التليفزيوني".

-----

\* طالب بالصف الأول الثانوي- بمدارس دار حراء بأسبوط

